

Israel withdrawal truth 2 and refusal to occupy

"٢٥ أيار" عيد خديعة التحرير

كتب المحامي نديم البستاني:

إن تاريخ ٢٥ أيار ٢٠٠٠، قد ينفع أن يكون ذكرى لجلاء جيش لبنان الجنوبي عن وطن الأرز، تمامًا كما هو جلاء الجيش الفرنسي عن لبنان الذي لم ينتج بفعل المقاومة ولا يمكن وصفه بالتحرير. ومنذ ذلك التاريخ بدأت عملية استبدال الاحتلال الإسرائيلي بالاحتلال الإيراني، وقد اتبع أحفاد قورش محرر اليهود من سبي بابل النهج ذاته الذي مارسه أولئك والذي تمثل عبر تشغيل الوكلاء المحليين وربط ولاء تنظيم حزب الله بطهران كما كان ولاء جيش لحد مربوطاً بتل أبيب فيتم احتلال الأرض بواسطة أبنائها. فلندع عنا إذاً إدعاءات المقاومة والتحرير، وليسمح لنا أصحاب الخديعة بعدم ابتلاعها!!!

إن قصة الحركة الصهيونية مع الجنوب ترجع إلى العام ١٩١٩ وتحديداً أثناء مجريات المفاوضات على تعيين حدود لبنان الكبير بعد أن حطت الحرب العالمية الأولى رحالها، حيث تم عقد لقاءات حثيثة بين الأكليروس اللبناني والوفد اليهودي في معرض مؤتمر السلام تمحورت حول جعل الحدود اللبنانية تنتهي عند نهر الليطاني، أي باقتطاع منطقة جبل عامل وضمتها لإسرائيل، إلا أن هذا الطرح قوبل برفض قاطع من قبل الوفد اليهودي بحيث تم اعلان لبنان الكبير فيما بعد بحدوده المعروفة من العريضة الى الناقورة. وفي العام ١٩٤٥ على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية أرسل أميل أده ابنه بيار للقاء حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وعرض عليه ضم صيدا وصور إلى دولة إسرائيل العتيدة، فرفض عرضه بحزم وردّ عليه قائلاً "علمني جدي ألا أقبل هدايا تعضّ". وتتوجت هذه العلاقة بالتوصل إلى توقيع إتفاقية بين الكنيسة المارونية، والوكالة اليهودية في ٣٠ أيار ١٩٤٦، حيث كلف البطريرك أنطوان عريضة الوزير السابق الشيخ توفيق عواد بتمثيله والتوقيع على الإتفاقية، فيما كانت الوكالة اليهودية ممثلة من قبل الدكتور برنارد جوزيف (دوف يوسف)، حيث أقر الطرف اليهودي في البند الثاني "باعترافه الكلي باستقلال لبنان و بخلو برنامجه من فكرة التوسع والامتداد في لبنان" في مقابل إعراف الكنيسة المارونية "بحق الشعب اليهودي بالهجرة الحرة إلى فلسطين وإقامة الدولة اليهودية فيها". فهذه أول دالة على أن إسرائيل ليست طامعة بمنطقة الجنوب كي تسعى لاحتلالها، لا بل على العكس إنها قد أشاحت برغبتها عنها ونفرت منها عندما كانت الفرصة سانحة لها بكل أريحية، وتؤكد ذلك عبر إقرار الوكالة اليهودية بخلو برنامجه من فكرة التوسع والإمتداد إلى لبنان.

بعد ترسيخ الكيان اللبناني وتحقيق الإستقلال، وتحديداً في تشرين الثاني ١٩٥٣ تم وضع مشروع لإدارة المياه في المنطقة عرف بمشروع "جونستون"، بحيث حاز على التبنّي الأميركي وطبقه لبنان ضمناً وأما إسرائيل قد اعتنقته كما لو كان الوصية الحادية عشرة. وحيث بموجب هذا المشروع تحديد واضح لحقوق دول المنطقة في المياه وكيفية استغلالها، بما يفيد منع التعديلات التي تخرج عن أحكام هذا المشروع. وبذلك تكون رسخت الدالة الثانية على انتفاء مطامع إسرائيل بمياه لبنان، وهي بجميع الأحوال تضع يدها على مياه الجولان. وبحيث منذ العام ٢٠٠٠ وحتى يومنا الراهن لم يسجل أي اعتداء إسرائيلي على المياه اللبنانية، ولم تباشر بأي منهاج بما يخالف أحكام مشروع جونستون.

وبناء عليه فإن أي حديث عن الأطماع الإسرائيلية في الأرض والمياه اللبنانية، ثبت حتى تاريخنا الراهن أنه معرض بروبغندا "إعلانية" لترويج منتوجات المقاومة البائدة. ولكن لا يصطفي المشهد من أن يكون العديد من الفئات الشعبية أو السياسية الإسرائيلية، التي تطل برأسها من هنا أو هناك لتعلن بمراميها التوسعية ضد لبنان. أما الحال أنها ما زالت أقلية داخل إسرائيل وما زالت غير مدعومة بأي مخطط مرسوم صادر عن مراكز الأبحاث المرموقة كمركز "بن

غوريون" أو غيره، وغير مؤيدة بسياسة معلنة من الدولة الاسرائيلية، فيغدو التهافت على تركيب نهج الدولة اللبنانية بأكمله حول هذه الانطباعات السرابية خطأ جسيماً ولا بل عملاً ساذجاً.

الواقع أنه منذ اعلان دولة اسرئيل واعتراف الأمم المتحدة بها قامت الدول العربية بحروب متكررة ضدها وكان لبنان يزج نفسه أو يزج قصراً بها، ويتلقى ما تلقاه أية دولة تتخبط في حرب فاشلة. إذ أن الإعتداءات الإسرائيلية ضد لبنان لا يمكن تسجيلها بدافع التوسع العقاري أو الطمع بالثروات أو التدخل في حرية المعتقد أو بغية تهجير المدنيين عن أرضهم، بل أتت بأجمعها تندرج ضمن خانة الحرب ولم تخرج إلا استثناء عن سياق المعارك العسكرية. بحيث ما قبل العام ١٩٩٠ كانت تتزامن الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان بشكل متسق مع تسلسلات أحداث الصراع العربي الاسرائيلي، بدءاً بنكبة ١٩٤٨ مروراً بنكسة ١٩٦٧، ما أعقبه احتلال الجنوب من قبل منظمة التحرير في ١٩٦٩ بعد اتفاقية القاهرة ومن ثم تفاقم "الشغب" الفلسطيني بعد ايلول الأسود ١٩٧٠ حيث طرد خلاله الملك حسين المقاتلين الفلسطينيين من الأردن الى لبنان أثر معارك طاحنة. أدت هذه التراكمات أن اجتاحت اسرائيل لبنان سنة ١٩٧٨ عبر ما عرف بعملية الليطاني، ثم تكرر الإجتياح وأخذى مدى أشمل سنة ١٩٨٢ عبر ما عرف بعملية سلامة الجليل. بحيث أن هدف الدولة العبرية كان دوماً تأمين حدودها لمسافة أمنة من الاعتداءات المنطلقة من لبنان بفعل منظمة التحرير. وربّ سائل يسأل هل كانت إسرائيل لتعتدي على لبنان في حال لو لم تكن منظمة التحرير ممعنة في ممارسة "مقاومتها" إنطلاقاً من أرضه. فيجيب معمم جنوبي متشح بالسواد ومن على محراب مسجده في مدينة صور عبر قوله " أن الاجتياح ما كان ليحصل لولا الوجود الفلسطيني". وما إن حاولت إسرائيل التدخل في السياسة اللبنانية لم يصمد اجتياحها لبيروت و ضواحيها سوى أشهر معدودة بفعل الضغط السياسي الداخلي المعارض لأي خروج لتعاطي اسرائيل مع محيطها عن قاعدة السعي الى توقيع إتفاقية السلام مع العرب.

بعد اتفاق الطائف أبقت إسرائيل على احتلالها للجنوب لصد الضغط الأمني الذي أتقنه حافظ الأسد المتحالف مع نظام الخميني وقد تكرر هذا الترابط الاستراتيجي السوري - الإيراني إبان مجزرة حماه ١٩٨٢، بحيث رفض الرئيس السوري سحب جيشه من لبنان، وكان يغذي المنظمات العاملة على قتال اسرائيل، متأماً بكسب ورقة تفاوض قوية في مؤتمر السلام المنتظر وطامحاً أن يجني غالباً ثمن حلّ وضعية الجنوب اللبناني. تعثر المؤتمر سنة ١٩٩٦ بفعل عدم موافقة الأسد على "فصل المسارين" إذ أراد تحقيق انجاز سياسي من خلال استعادة الجولان. جراء انقطاع المفاوضات، اعتقدت اسرائيل أنها يمكنها الضغط على سوريا لإعادتها للمفاوضات عبر تصعيدها العسكري في وجه حزب الله في الجنوب اللبناني، عبر ما عرف بعملية عنقايد الغضب ١٩٩٦. ولكن تبين أن هذا الحل يضعف موقف اسرائيل دولياً ويزيد من شعبية حزب الله ويعزز بالتالي وضعية سوريا في لبنان.

في الفترة التي تلتها بدأ يتبلور وعي في اسرائيل لتغيير استراتيجيتها، بحيث ثار انقسام سياسي كبير بين جبهتين، الأولى تضم مؤيدي عملية السلام الأحادي الجانب خارج عن طريق المفاوضات المباشرة وكان أبرزهم "إيهود باراك"، والجبهة الثانية تصدت لهم بشراسة وكان على رأسها "بنيامين نتنياهو" رئيس الحكومة آنذاك. قبيل الانتخابات البرلمانية في اسرائيل، أراد نتنياهو تعزيز موقفه ورفع أسهمه ففصف محطات الكهرباء في لبنان، إلا أن خطته لم تنفع فجرت الانتخابات سنة ٢٠٠٠ وحقق إيهود باراك نصراً كاسحاً فأوفى بوعده وانسحب من لبنان أحادياً.

في هذه الأجواء كان يلوح في الأفق مسعى أميركي لعقد مؤتمر انديانابوليس في العام ٢٠٠٠ من أجل إحلال السلام الشامل في المنطقة، فاعتقد الاسرائيليون أنهم قد جردوا حافظ الأسد من أوراق الضغط، ولكن الأخير داهية سياسي امتلك رأياً مخالفاً وظل محتفظاً بجيشه في لبنان وظل متمسكاً بحلفه مع إيران حالماً باسترجاع الجولان وتحقيق السلام بموقع المنتصر ما سيؤمن استمرارية لنظامه عقود مديدة الى الأمام. إذ أن الرئيس السوري عرف أن دور حزب الله

سيتعاضم بعد الانسحاب وأن اللعبة السياسية الداخلية لن تتغير طالما تمت مراعاة شروط التنسيق الحتمي بين النظام الأمني السوري - اللبناني من جهة وحزب الله من جهة ثانية، وتجسد ذلك عبر ابقاء مناطق النفوذ الإيرانية العسكرية صافية دون تعكير في الجنوب، لا عبر تواجد الجيش اللبناني ولا عبر تواجد الجيش السوري. توفي حافظ الأسد، ووقعت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، فتهاوت المخططات السورية وبدأ الحديث عن مشروع الشرق الأوسط الجديد، الذي أتى على حساب سوريا ووجودها في لبنان حيث انسحبت في ٢٦ نيسان من العام ٢٠٠٥ على أثر الزلزال الكبير الذي ضرب لبنان باغتيال رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري. ولكن فشل هذا الزخم بأن يطيح بحزب الله بفعل تخاذل اللاعبين المحليين المنضوين في جبهة ١٤ أدار المناوئة للمحور السوري بحيث انخرطوا في تسوية مع حزب الله تحقيقاً لمكاسب سياسية محلية هذا من ناحية، أما من ناحية ثانية فقد ضمنت إيران بصفتها الراعي الإقليمي لحزب الله بقاء فصليها في لبنان دون أن تطيح به المتغيرات الدولية ولا سيما أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت بحاجة ماسة إليها بغية تنسيق وجودها العسكري في العراق.

في العام ٢٠٠٦ بعدما جهز حزب الله الجبهة السياسية الداخلية عل أثر توقيعه اتفاقية مار مخايل مع العماد ميشال عون زعيم الأغلبية النيابية المسيحية، وبعدها نجى برأسه من عاصفة المتغيرات الدولية، وقد رصد عدم تماسك خصومه المحليين، أراد افتعال توترات أمنية مع إسرائيل كي يقلب الأوضاع السياسية الداخلية لصالحه فيستعيد القبض على زمام السلطة عبر رفع ورقة المقاومة التي يتقن استغلالها جيداً، فعمد على اختطاف جنديين إسرائيليين، وهذا ما أتى بعد سلسلة من الإستفزازات ما كان ينفك حزب الله عن القيام بها باتجاه إسرائيل منذ العام ٢٠٠٠ بحسب توقيت الأجنحة الإيرانية، إلا أن هذه المرة خرجت إسرائيل عن صمتها وتم إطلاق حملة عسكرية واسعة النطاق على لبنان استمرت ٣٤ يوماً، وما لبثت أن انسحبت على أثرها بعد تحقيق مطالبها فيما عرف بمبادرة النقاط السبع، والتي تم تكريسها فيما يلي عبر قرار مجلس الأمن الذي حمل الرقم ١٧٠١. وبذلك تكون إسرائيل قد بلورت جلّ أهدافها من هذه الحرب إذ آلت لتحقيق أكبر ضمانات أمنية عرفتها الدولة العبرية عبر تاريخها فيما يعني جبهتها مع جنوب لبنان. وعند هذا الحد نكون قد بلغنا دالتنا الثالثة على انتفاء نية الإحتلال لدى إسرائيل باتجاه الأراضي اللبنانية، إذ أن التاريخ قد أثبت عبر مختلف مراحل كونه "الجار العبري" كل همّه كان وما زال مجرد تحقيق الضمان لأمنه، ولو كان ذلك بأحيان كثيرة لم يتحقق إلا عبر اعتماد أساليب تنتهك الأسس السليمة في التعاطي الدولي. ولكن أين حزب الله من هذا!! ومنذ العام ٢٠٠٦ وحتى ساعتنا الراهنة لم يحرك حزب الله ساكناً باتجاه إسرائيل رغم ذريعة احتلال مزارع شبعا، وهذا ما يفصح أكذوبة أن إسرائيل كانت تستجدي المجتمع الدولي للإسراع في الوصول إلى الإتفاق السياسي لإنهاء الحرب، فلماذا حزب الله وافق على عدم إدراج مزارع شبعا ضمن مبادرة النقاط السبع!! أم أن الحقيقة أنه كان مهزوماً وإسرائيل خرجت من الأراضي اللبنانية بملئ إرادتها، بعد تحقيق كامل شروطها.

بالخلاصة إن العبرة تكمن أنه في هذا اليوم علينا التذكر كيف أن الصراعات الخارجية استجلبت الإحتلال الإسرائيلي الى لبنان وكيف أخرجته لا لشيء الا خدمة لاستمرار الصراع. فأين المقاومة وأين التحرير من كل هذا!!!